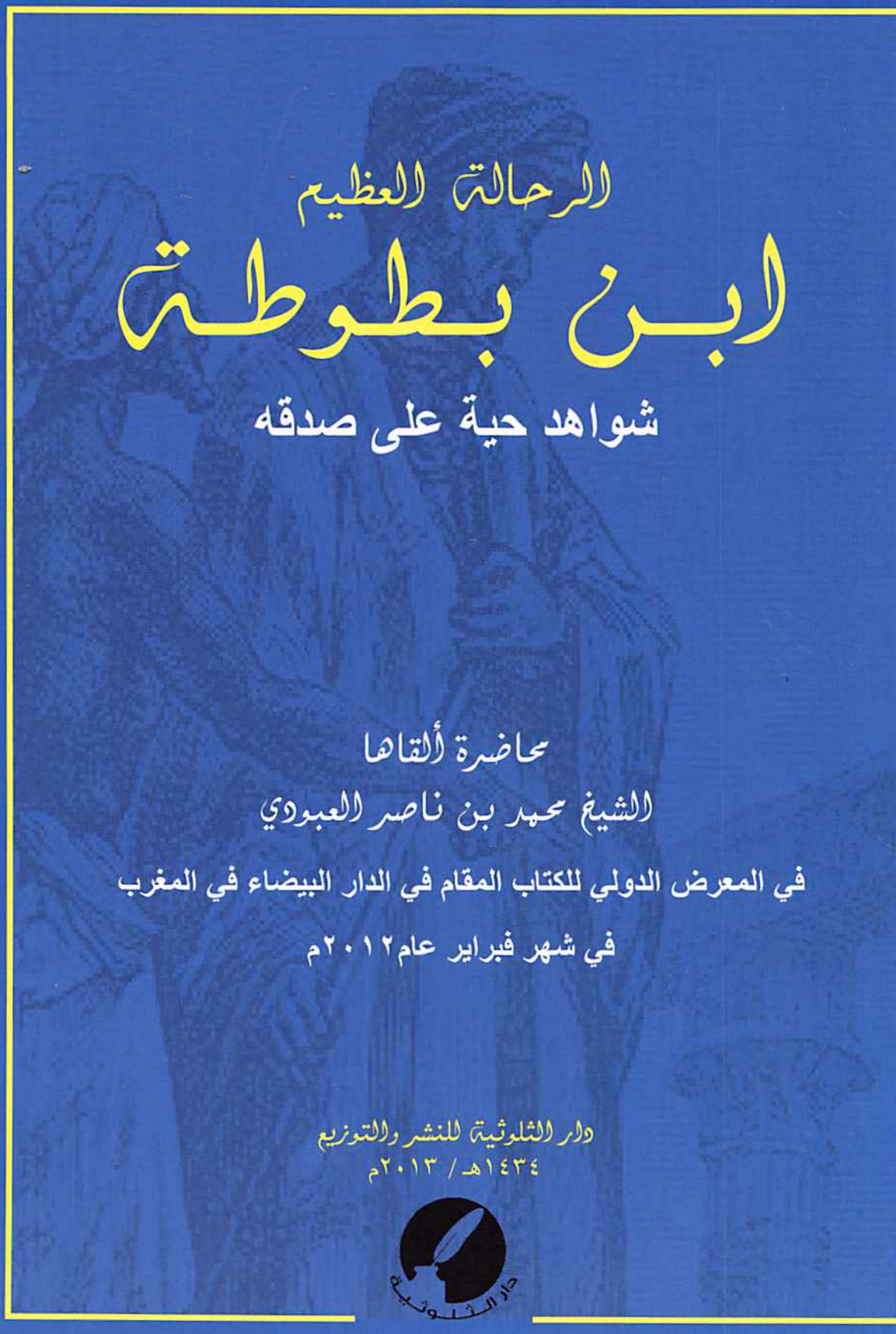

الرحالة العظيم

ابن بطوطة

شواهد حية على صدقه

محاضرة ألقاها

الشيخ محمد بن ناصر العبودي

في المعرض الدولي للكتاب المقام في الدار البيضاء في المغرب

في شهر فبراير عام ٢٠١٢م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الرحالة العظيم ابن بطوطة

شواهد حية على صدقه

محاضرة ألقاها

الشيخ/ محمد بن ناصر العبودي

في المعرض الدولي للكتاب المقام في الدار البيضاء في المغرب

في شهر فبراير عام ٢٠١٢م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

ح دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

الرحالة العظيم بن بطوطة شواهد على صدقه – الرياض ، ١٤٣٣هـ

٦٥ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٣-٧-٩٠٣٠٩ - ٦٠٣-٩٧٨

١- العالم – وصف ورحلات ٢- ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله، ت ٧٧٧هـ أ- العنوان

ديوي : ٩١٠٠٤ ١٤٣٣/٥٧٤٩

رقم الإيداع : ١٤٣٣/٥٧٤٩

ردمك : ٣-٧- ٩٠٣٠٩ - ٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٤٦٤٢٩٩٩

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com

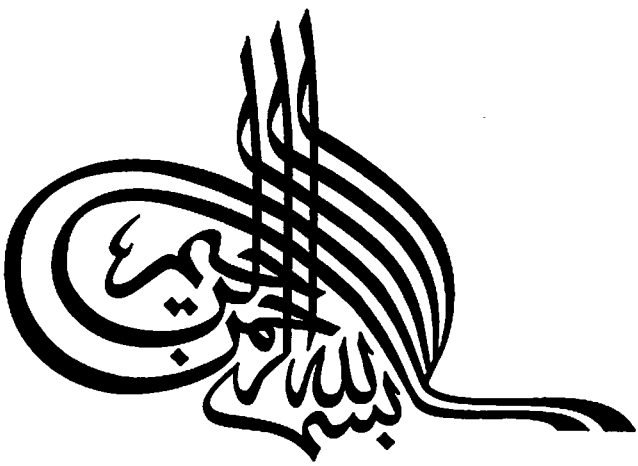
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحالة العظيم بل أعظم الرحالين العرب على الإطلاق، بل ربما كان قد قام في رحلته بما لم يقم به أحد قبله من سائر الأمم، إنه ابن بطوطة.

ويجب أن ننظر في أمره وفي وصف رحلته إلى شيئين، أولهما: رقعة الرحلة من حيث السعة والشمول، والثاني: الفوائد التي ذكرها فيها بطريق المشاهدة، ومن حيث ما استنتجه الراحل من مشاهداته وما اطلع عليه فيها من أوصاف أو أخبار.

ورحلة ابن بطوطة على الاعتبارين كليهما رحلة متفوقة فاقت جميع الرحلات قبلها سواء من حيث الرقعة من الأرض التي شملتها أو من حيث المشاهدات والمعلومات التي تضمنتها.

وسوف نتكلم على ذلك من خلال هاتين النظرتين المهمتين.

ونبدأ بالتعريف بابن بطوطة وأول ذلك أن نعرف النطق الصحيح باسمه، وقد سألت عنه علامة المغرب الشيخ عبدالله قنون عندما زرته في بيته وأجلسنا في مكتبته الضخمة من بيته في حي القصبة من مدينة طنجة في شمال المغرب، قال:

الناس يقولون ابن بطُوطة بتخفيف الطائين الأولى والثانية، وقد سمعت من يلفظ بها بتشديد الطاء الأولى (بَطَّوطة) ولكن العامة على خلاف ذلك وإنهم يقولون بطوطة بدون تشديد.

ثم رأيت الشيخ عبدالله قنون ذكر ذلك في أحد مؤلفاته.

وتوفي ابن بطوطة عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، وليس من المحقق أنه دفن في فاس أو طنجة لأن آخر ما يعرف عنه أنه كان متولياً لمنصب القضاء بتامسنا بعد مدة من عودته إلى المغرب نهائياً.

وقد سجل ذكرياته ومشاهداته في رحلته واسمها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)[1]، وقد أملاها على كاتب السلطان أبي عنان المريني الفقيه محمد بن جزي الكلبي، وربما كان ذلك لكون ابن بطوطة كان قد أسن، وعجز عن الكتابة.

فلما عاد إلى المغرب ورغب إليه السلطان في تدوين رحلته، قام بإملائها على الكاتب ابن جزي.

ويقال بأن ابن بطوطة كان قد ضعف بصره بحيث لم يقو على تدوين رحلته بنفسه فأملاها على كاتب السلطان المذكور، وبذلك نعتقد أنها كانت موجودة لدى ابن بطوطة على هيئة مذكرات أو أوراق متفرقة، فأمر السلطان بكتابتها على هيئة كتاب فكان ذلك ما حصل.

ابتدأ ابن بطوطة رحلته وهو في الثانية والعشرين من عمره، فخرج من طنجة عام ٧٢٥هـ/١٤٢٦م، وزار أكثر بلدان العالم المشهورة وغير المشهورة.

---

(١) اعتمدنا في نقل النصوص هنا على طبعة مؤسسة الرسالة التي كتب عليها بأنه حققها الدكتور على المنتصر الكتاني، وطبعت عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

وقد استمرت رحلته زهاء ربع قرن، طاف خلالها الأقطار، واشتغل في عدة وظائف وسفارات في بعض تلك الأقطار، منها تولي منصب القضاء على مذهب مالك في مدينة دلهي بالهند سبع سنوات، كما أصبح قاضياً في مالديف ويسميها جزيرة ذيبة المهل ما يقرب من سنة ونصف سنة.

الرحلة الأولى، من يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥هـ/ ١٣٢٦م، إلى يوم الجمعة أواخر شعبان عام ٧٥٠هـ أي لمدة خمس وعشرين سنة.

وقد استنكر بعض الناس ما جاء في رحلة ابن بطوطة، ولكنّ العلامة ابن خلدون قد نهى عن استنكار ما قصه ابن بطوطة في رحلته قائلاً من بين ما قاله: إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره، فتكون كابن الوزير الناشيء في السجن لم ير في حياته إلا الفأر فكان عندما يذكر له حيوان يقول هو مثل الفأر ثم ينهي ابن خلدون في هذا الفعل بقوله: (فليرجع الإنسان إلى أصوله وليكن مهيمناً على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته، فما دخل في نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه).

الرحلة الثانية: إلى الأندلس عبر طنجة وجبل طارق.

الرحلة الثالثة: كانت في غرة محرم عام ٧٥٣هـ خرج من سجلماسة إلى مالي حتى وصل إلى نهر النيجر وبقي في بلاد مالي أقل قليلاً من

سنة، ثم عاد إلى سجلماسة عن طريق تاوات ووصل إلى فاس في نهاية عام ٧٥٤هـ.

هل ابن بطوطة ثقة فيما قاله أو نقله؟

لا شك أننا نستطيع أن نعرف ذلك عن طريقين أولهما دراسة ما ذكره دراسة مقارنة، فمثلاً إذا ذكر ما رآه، وواجهه في بلد من البلدان فإنه لابد من أن يذكر أعلاماً من الأعلام فيه كالأشخاص الكبار من الملوك والأمراء ومن العلماء والصلحاء، ولابد أن يذكر أعلام مواضع فيه من المدن والقرى والطرقات، وما يتبعها أو يلاصقها من ذلك.

فننظر ما ذكره ونقارنه بما هو حاضر الآن ومعروف به من أهل تلك البلاد، ونعرف من هذه المقارنة صحة ما ذكره ابن بطوطة، وما يعرف الآن من حالها في الوقت الحاضر.

وسوف نختار عدة بلدان من البلدان التي لم يذكر غيره بالتفصيل أحوالها وأماكنها حتى لا نقول نحن أو غيرنا إن رحلة ابن بطوطة فيها خيال منه أو من غيره، مع أن ذلك مستبعد وبخاصة بعد موت ابن بطوطة، وانتفاء الدواعي لذلك.

وسوف نرى ذلك فيما بعد.

أما ما ذكره معاصروه عنه فإن بعضهم اتهمه بالتلفيق، بل وبعضهم سامحهم الله اتهموه بالكذب، ودللوا على قولهم بأدلة ترد

عليهم فمثلاً قال أحدهم وأظنه السخاوي بأن ابن بطوطة كذاب لكونه ذكر أن المرأة من نساء كفار الهنود إذا مات زوجها واضرمت النار في جثته جرياً على العادة التي عليها أهل الهند من الهنادكة في إحراق موتاهم دخلت زوجته تلك النار طائعة مختارة فماتت معه.

قالوا: وهذا شيء لا يصدقه العقل، ولكن العقل والواقع أيضاً يصدقه لأن الديانة الهندوكية التي هي ديانة أكثر أهل الهند توحي بذلك إلى الزوجة المسكينة بل تضطرها إلى ذلك والهند بلاد التقاليد العريقة القوية التي يصعب الانفلات بل التفلت منها على أهلها.

وقد نقل ذلك عن أناس كثر بعد ابن بطوطة، بل بقي معمولاً به، حتى سيطر الإنكليز على بلاد الهند فحرموا هذه العادة، ولكنها استمرت تمارس على نطاق ضيق إلى عهد الاستقلال حيث شددت الحكومة الهندية الوطنية على منعه.

وأما العقل فإن العادة الجارية المتبعة في الهند حتى الآن أنه لا يجوز للمرأة التي يتوفى عنها زوجها أن تتزوج رجلاً آخر بعده، بل تبقى أرملة طول عمرها، وليس ذلك فحسب، وإنما يوجب العرف عليها أن تبقى في البيت الذي كانت ساكنة فيه مع زوجها طول حياتها، وغالباً ما يكون هو بيت زوجها الذي يكون في أكثر الأحيان بيت أهله فتصبح عبئاً عليهم، وضيفاً ثقيلاً عندهم، مدى حياتها، وتتسم حياتها بأن يكرهوها وغيرهم.

فالزوجة إذا ذكرت ذلك هان عليها أن تدخل النار التي يحرق فيها جسد زوجها وأن تموت مثله حرقاً.

وهذا نص كلام ابن بطوطة فيما يتعلق بحرق الزوجة الهندوكية مع زوجها إذا مات:

«رأيت الناس يهرعون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألتهم: (ما الخبر؟)، فأخبروني أن كافراً من الهنود مات، وأججت النار لحرقه، وامرأته تحرق نفسها معه، وبعد ذلك كنت في تلك البلاد أرى المرأة من كفار الهنود متزينة راكبة، والناس يتبعونها من مسلم وكافر، والأطبال والأبواق بين يديها، ومعها البراهمة وهم كبراء الهنود، وإذا كان ذلك ببلاد السلطان أستأذنوا السلطان في إحراقها، فأُذن لهم فيحرقونها، ثم اتفق بعد مدة أني كنت بمدينة أكثر سكانها الكفار تعرف بأمجرى، وأميرها مسلم من سامرة السند، وعلى مقربة منها الكفار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً، وخرج الأمير المسلم لقتالهم، وخرجت معه رعية من المسلمين والكفار، ووقع بينهم قتال شديد مات فيه من رعية الكفار سبعة نفر، وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات، فاتفقن على إ حراق أنفسهن، واحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمر مندوب إليه غير واجب، لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونسبوا إلى الوفاء، ومن لم تُحرق نفسها لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها بائسة ممتهنة لعدم وفائها، ولكنها لا تكره على احراق نفسها، ولما تعاهدت

النسوة الثلاث اللائي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب، كأنهن يودعن الدنيا، ويأتي إليهن النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أُتيت كل واحدة منهن بفرس فركبته، وهي متزينة متعطرة، وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها، وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها، وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار، وكل إنسان من الكفار يقول لها: (أبلغي السلام إلى أبي، أو أخي، أو أمي، أو صاحبي)، وهي تقول: (نعم) وتضحك إليهم.

وركبت مع أصحابي لأرى كيفية صنعهن في الإحراق، فسرنا معهن نحو ثلاثة أميال، وانتهينا إلى موضع مظلم، كثير المياه والأشجار، متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قباب، في كل قبة صنم من الحجارة، وبين القباب صهريج ماء قد تكاثفت عليه الظلال وتزاحمت الأشجار فلا تتخللها الشمس، فكأن ذلك الموضع بقعة من بقع جهنم، أعاذنا الله منها.

ولما وصلن إلى تلك القباب نزلن إلى الصهريج وانغمسن فيه، وجرَّدن ما عليهن من ثياب وحلي فتصدقن به، وأتيت كل واحدة منهن بثوب قطن خشن غير مخيط، فربط بعضه على وسطها وبعضه على رأسها وكتفيها، والنيران قد أضرمت على قرب من ذلك الصهريج في موضع منخفض، وصب عليها روغن كنجت، وهو زيت الجلجلان، فزاد في اشتعالها، وهنالك نحو خمسة عشر رجلاً بأيديهم حزم من

الحطب الرقيق، ومعهم نحو عشرة بأيديهم خشب كبار، وأهل الأطبال والأبواق وقوف ينتظرون مجيء المرأة، وقد حجبت النار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا يدهشها النظر إليها، فرأيت إحداهن لما وصلت إلى تلك الملحفة، نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم: (ماوامترا ساني ازاطش من ميدانم أواطش است رهاكني مارا) وهي تضحك، ومعنى هذا الكلام: (أبالنار تخوفونني؟ أنا أعلم أنها نار محرقة)، ثم جمعت يديها على رأسها خدمة للنار، ورمت بنفسها فيها، وعند ذلك ضربت الأطبال والأنفار والأبواق، ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها، وجعل الآخرون تلك الخشب من فوقها لئلا تتحرك، وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج، ولما رأيت ذلك كدت أسقط من فرسي لولا أن أصحابي تداركوني بالماء، فغسلوا وجهي وانصرفت». انتهى.

والموضوع أو المثال الثاني الذي ذكروا أن ابن بطوطة حكاه وأنه مخالف للعقل كما يزعمون ما ذكره ابن بطوطة من كون الناس في الشمال الذي ذكر أن أبعده بلاد الظلمة، ويريد التي تقرب من القطب الشمالي التي يرين عليها ثلج عظيم في الشتاء، وبعضه لا يذوب حتى في الصيف، كما رأيتها عندما زرتها عام ١٣١٠هـ.

قال ابن بطوطة رحمه الله:

«وكنت سمعت بمدينة بلغار[1]، فأردت التوجه إليها لأرى ما ذكر عنها من انتهاء قصر الليل بها وقصر النهار أيضاً في عكس ذلك الفصل، وكان بينها وبين محلة السلطان مسيرة عشر، فطلبت منه من يوصلني إليها، فبعث معي من أوصلني إليها وردني إليه، ووصلتها في رمضان، فلما صلينا المغرب أفطرنا، وأذن بالعشاء في أثناء إفطارنا فصليناها، وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر إثر ذلك، وكذلك يقصر النهار بها في فصل قصره أيضاً، وأقمت بها ثلاثاً.

وكنت أردت الدخول إلى أرض الظلمة، والدخول إليها من بلغار، وبينهما أربعون يوماً، ثم أضربت عن ذلك، لعظم المؤنة فيه وقلة الجدوى، والسفر إليها لا يكون إلاّ في عجلات صغار تجرها كلاب كبار، فإن تلك المفازة فيها الجليد، فلا يثبت قدم الآدمي ولا حافر الدابة فيها، والكلاب لها الأظفار فتثبت أقدامها في الجليد، ولا يدخلها إلاّ الأقوياء من التجار الذين يكون لأحدهم مائة عجلة أو نحوها، موقرة بطعامه وشرابه وحطبه، فإنها لا شجر فيها ولا حجر ولا مدر، والدليل بتلك الارض هو الكلب الذي قد سار فيها مراراً كثيرة، وتنتهي قيمته إلى ألف دينار ونحوها، وتربط العربة إلى عنقه

---

(١) آثار مدينة بلغار توجد على بعد ١٢٥ كيلو متراً جنوب مدينة قازان عاصمة جمهورية تتارستان وقد زرتها ووصفتها وصفاً كاملاً في كتاب (بلاد البلغار والتتار) على بعد ٧ كيلو من ضفة نهر الفولكا الشرقية.

ويقرن معه ثلاثة من الكلاب، ويكون هو المقدم تتبعه سائر الكلاب بالعربات، فإذا وقف وقفت، وهذا الكلب لا يضربه صاحبه ولا ينهره، وإذا حضر الطعام أطعم الكلاب أولاً قبل بني آدم وإلاّ غضب الكلب وفر وترك صاحبه للتلف.

فإذا كملت للمسافرين بهذه الفلاة أربعون مرحلة نزلوا عند الظلمة، وترك كل واحد منهم ماجاء به من المتاع هناك وعادوا إلى منزلهم المعتاد، فإذا كان من الغد عادوا لتفقد متاعهم، فيجدون بإزائه من السمور والسنجاب والقاقم، فإن أرضى صاحب المتاع ما وجده إزاء متاعه أخذه، وإن لم يرضه تركه، فيزيدونه وربما رفعوا متاعهم، أعني أهل الظلمة، وتركوا متاع التجار، وهكذا بيعهم وشراؤهم، ولا يعلم الذين يتوجهون إلى هناك من يبايعهم ويشاريهم، أمن الجن هو أم الإنس، ولا يرون أحداً.

والقاقم هو أحسن أنواع الفراء، وتساوي الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار، وصرفها من ذهبنا مائتان وخمسون، وهي شديدة البياض، من جلد حيوان صغير على طول الشبر، وذنبه طويل يتركونه في الفروة على حاله.

والسمور من ذلك، تساوي الفروة منه أربعمائة دينار فما دونها، ومن خاصية هذه الجلود أنه لا يدخلها القمل، وأمراء الصين وكبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم عند العنق، وكذلك تجار فارس والعراقين.

وعدت من مدينة بلغار مع الأمير الذي بعثه السلطان صحبتي، فوجدت محلة السلطان على الموضع المعروف ببش دغ، وذلك في الثامن والعشرين من رمضان، وحضرت معه صلاة العيد وصادف يوم العيد الجمعة.

وما ذكره عن القاقم وهي جلود بعض الحيوان ذات الفراء السميك اللين بل الناعم جداً، لا تزال التجارة فيها الآن موجودة على نطاق ضيق لأن الحكومة الروسية حرمت قتل الحيوانات النادرة في تلك المنطقة.

ويقول الشانئون لابن بطوطة: إن هذا كذب ومستحيل عقلاً، وذلك لخلل هو في عقولهم وليس فيما قاله ابن بطوطة لأنهم قاسوا بلاداً يعرفونها كبلادهم ببلاد لا يعرفونها مثل المنطقة القطبية الشمالية.

فالواقع أن الناس فيها حتى الآن لا يستطيعون التنقل على الحيوان وإنما يركبون في عربات تجرها كلاب تلك المنطقة.

وهذا أمر أصبح واضحاً حتى لمن لم يزر تلك المنطقة لأنه يراه في القنوات الفضائية التي تنقل المشاهدات من الدائرة القطبية الشمالية أثناء الشتاء الطويل.

إن ابن بطوطة من الرحالين، بل يصح أن يسمى (كبير الرحالين العرب) على مر العصور، هو ممن يفاخر به المغرب الشقيق مفاخرة علمية، بل ممن يفاخر به العرب كل العرب جميع الأمم، ويكفي في

ذكر ذلك أنه كتب رحلته باللغة العربية، وهو مغربي أصيل فإن الألفاظ المغربية الأصيلة التي لا تستعمل في مشرق العالم العربي، هي قليلة جداً في لغته مما يؤكد أن اللغة العلمية هي موحدة في العالم العربي في وقته أو تقترب من أن تكون كذلك.

ولو كان ابن بطوطة نشأ في بلاد أوروبية لأشبعوا رحلته درساً، بل لتفننوا في ذلك مثلما فعل الأوروبيون في رحلة (ماركو بولو) التي كان بعضها ليس مؤكد الوقوع، ورقعتها ضيقة بالنسبة إلى رقعة رحلة ابن بطوطة التي شملت من بلاد روسيا في الشمال إلى بلاد مالي في إفريقيا على ضفاف النهر الذي يعرف الآن بنهر النيجر.

وينبغي أن يوضع اسم ابن بطوطة مع عظماء رجال العرب المؤرخين لانه أرخ مشاهداته في رحلته، وذكر فيها من المعلومات والاصطلاحات وأسماء بعض البلدان ما لم يذكر إلاّ في رحلته، إضافة إلى ماهو أهم من ذلك عنده وعند كثير غيره من أسماء الملوك والحكام والأمراء والعلماء والصلحاء، والمقرئين، فضلاً عن أسماء الكرماء والزعماء والبحارة، وأرباب الصنائع.

شيء من ترجمة ابن بطوطة:

هو كما ذكره علامة المغرب بل رئيس علمائها الشيخ عبدالله قنون، وغيره: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، بفتح وضم الطاء الأولى مع التخفيف، وبعضهم يشددها والجاري على الألسنة خلافه.

ولواتة التي ينسب إليها هي بفتح اللام قبيلة مغربية منازلها الأصيلة في برقة من أرض ليبيا، وسكن منها بجهات من المغرب أقوام منهم بطنجة قبل المترجم أسرة بني سمحون الفقهاء الأعلام، وبمدينة سبتة الفقيه المشاور أبو جعفر اللواتي المعروف بابن القابسي شيخ القاضي عياض وحتى أسرة ابن بطوطة نفسها كانت أسرة علمية ظهر فيها قضاة ومشايخ العلم قد أخبر هو عنها في الرحلة لما خيره ملك الهند في وظائف الوزارة والكتابة والإمارة والتدريس فقال: (أما الوزارة والكتابة فليست شغلي وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي).

وكانت ولادة ابن بطوطة في مدينة طنجة يوم الاثنين ١٧رجب عام ٧٠٣هـ في عهد الدولة المرينية، والشعب المغربي كان آنذاك في أوج تقدمه العلمي والأدبي، فمن الطبيعي أن ينشأ ابن بطوطة على طلب العلم ومحبة العلماء والصلحاء.

أما طلبه العلم وتحصيله طرفاً منه فمما لا شك فيه، ويدلنا على ذلك أنه في أثناء رحلته كان يخالط أهل العلم، وكان العلماء يحترمونه ويساعدونه، وإذا لقي أحداً من كبار المشايخ، ومشاهير العلماء حرص على التنويه بذلك في رحلته، وطلب منه أن يحدثه بمروياته من الأحاديث، وبخاصة الأحاديث المسلسلة.

كما أنه ذكر أنه ولي منصب القضاء على المذهب المالكي في مدينة دلهي بالهند مدة سبع سنين، ثم في جزر مالديف التي يسميها (ذيبة المهل) وسوف يأتي نقل كلامه عنها فيما بعد ان شاء الله تعالى،

وذلك لما يقرب من سنة ونصف، ومات وهو قاض ببعض جهات المغرب، أو بعد أن كان قاضياً بسنوات قليلة.

وقد درس في بلدته طنجة، في فجر حياته، لأنه لما ابتدأ الرحلة كان ابن اثنتين وعشرين عاماً.

وفي أثناء رحلته الطويلة كان لا يسمع برجل من الصالحين في بلد من البلدان ولو لم يكن على طريقه، إلا ذهب إليه وزاره، وطلب منه الدعاء له.

توثيق رحلة ابن بطوطة:

إن توثيق رحلة ابن بطوطة لا يكون من كلام المعاصرين له فقط أو من أتى بعدهم ممن سمع بعضهم بما ذكره ابن بطوطة سماعاً منقولاً عن آخرين، من دون أن يعرفوا أحوال البلدان التي تكلم عليها.

وقد عنيت بمراجعة ما ذكره ابن بطوطة عن بعض البلدان بما هو معروف عنها في الوقت الحاضر ومن ذلك أسماء الأشخاص والحيوان والأماكن، وما حكاه من المعلومات عنها فوجدت أن ذلك أو أكثره يوثق رحلة ابن بطوطة لأنه معروف الآن في تلك البلاد إلا ما تأثر بفعل الزمن أو بسبب كتابة بعض الأسماء كتابة بعدت به عن اسمه الواضح بسبب اختلاف النطق في بعض الحروف.

ومن أهم أسماء الأماكن التي ذكر ابن بطوطة اسمها على الوجه الصحيح لا على ما تسمى به الآن هي العاصمة السيلانية إذ ذكرها بلفظ (كلنبو) بنون بعد اللام، وهو مركب من لفظين أحدهما كلن

بمعنى النارجيل والثاني بو بمعنى مكان أو هذا ما في ذاكرتي الآن، ولكن المؤكد أن اسمها ليس فيه ميم، وإنما سماها الأوروبيون كولمبو بالميم.

مثلما ذكر ابن بطوطة اسم المدينة الكبيرة في مالي (تنبكتو) بنون بعد التاء في أول الاسم فسماها الأوروبيون تمبكتو بميم بديلة من النون، وكذلك منبسة في شرق إفريقية، وغيَّرها الأوروبيون إلى ممباسة.

ابن بطوطة ومالديف

يمكن القول بأن الرحالة ابن بطوطة هو أكثر من لفت الانتباه إلى جزر (مالديف) في العصور الوسيطة، بل ربما كان هو الكاتب الوحيد الذي ذكرها بتفصيل مدهش في ذلك الوقت الذي كان يتسم الكلام فيه على مثل هذه الموضوعات بالاجمال والتركيز على موضوعات معينة حتى إننا لو اسقطنا من حسابنا ما ذكره ابن بطوطة عن تاريخ مالديف لوجدنا أننا نعيش من تاريخها في ظلام حالك.

والغرض ذلك المقارنة بين ما ذكره، وبين ما يعرف أهل تلك الجزر عن ذلك في الوقت الحاضر.

لقد تكلم ابن بطوطة عن نواح عديدة في هذه البلاد عن دخول الإسلام إليها وعن نظام النقد عندهم وعن القضاء والملاحة والزواج والمرأة ونظام الحكم إلى آخر ما ذكره مما لو عددناه وعلقنا عليه لطال الكلام، وقد فضلنا أن نختار منه ما يثبت أن ابن بطوطة كان

صادقاً فيما قال عنها، بل كان دقيقاً في ذلك.

قال ابن بطوطة: وعدت إلى قالقوط، وعزمت على السفر إلى ذيبة المهل.

وأقول: قالقوط: مدينة في ولاية كيرالا في جنوب الهند على الساحل الغربي اسمها الآن كما ينطق به أهلها (كاليكوت) تكلمت عنها في كتابي: (الاعتبار في السفر إلى ماليبار)، وفي غيره من كتب رحلاتي في الهند، وتسمى الآن (كاليكوت)، وذيبة المهل هي ما لديف ظن ابن بطوطة أو من كتب رحلته أنها بلفظ الذئبة: أنثى الذئب مع أنه لا توجد فيها ذئاب ولا نمور ولا أي حيوان مفترس، وإنما معنى اسمها (مال ديب): جزيرة السمك. قال ابن بطوطة:

ذكر وصولي إلى هذه الجزائر وتنقل حالي بها:

ولما وصلت إليها ونزلت منها بجزيرة كنلوس[1]، وهي جزيرة حسنة، وكان قدومي إليها في مركب الناخوذة عمر الهنّوري، وهو من الحجّاج الفضلاء، ولّما وصلنا كنلوس أقام بها عشراً ثم اكترى كندرةً[2] يسافر فيها إلى المهل بهدية للسلطانة وزوجها.

قال: ووصلنا بعد أربعة أيام إلى إقليم التيم[3]، وكان الكردوي[4]

---

(١) تقع إلى الجنوب من جزيرة العاصمة مالي.

(٢) الكندرة: سفينة غير كبيرة.

(٣) اسمه (اوتيم) في الوقت الحاضر.

(٤) الكردوي: الوالي.

يسمّى بها هلالاً، فسلّم عليّ وأضافني.

قال: وكنت أسمع بأخبارها، فبعد عشرة ايام من ركوبنا البحر بقالقوط وصلنا جزائر ذيبة المهل[1]، وذيبة على لفظ مؤنث الذيب، وهذه الجزائر إحدى عجائب الدنيا، وهي نحو ألفي جزيرة، ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات مستديرة كالحلقة، لها مدخل كالباب لا تدخل المراكب إلاّ منه، وإذا وصل المركب إلى إحداها، فلابد له من دليل من أهلها يسير به إلى سائر الجزائر، وهي من التقارب بحيث تظهر رؤوس النخل التي بإحداها عند الخروج من الأخرى، فإن أخطأ المركب سمتها لم يمكنه دخولها، وحملته الريح إلى المعبر أو سيلان.

أقول: يريد بالنخل أشجار النارجيل، وإلا فإنه لا توجد في مالديف نخلة واحدة من نخيل التمر، والمعبر في جنوب الهند، وبالذات في ولاية كرناتكا.

قال: وهذه الجزائر أهلها مسلمون ذوو ديانة وصلاح، وهي منقسمة إلى أقاليم على كل إقليم وال يسمونه الكردوي، ومن أقاليمها إقليم البور، ومنها كنلوس[2]، ومنها إقليم المهل[3]، وبه تعرف الجزائر كلها، وبها يسكن سلاطينها، ومنها إقليم تلاديب، ومنها إقليم

---

(١) هي المجموعة التي فيها جزيرة العاصمة.

(٢) يسمى الآن (كانولس).

(٣) إقليم المهل يريد به مجموع الجزر التي عاصمتها (مالي) العاصمة.

كرايدو[1]، ومنها إقليم التيم[2]، ومنها إقليم تلدمتي[3]، ومنها إقليم هلدمتي، ومنها إقليم بريدو، ومنها إقليم كند كل[4]، ومنها إقليم ملوك[5]، ومنها إقليم السويد وهو أقصاها.

وهذه الجزائر كلها لا زرع بها إلا أن في إقليم السويد[6] منها زرعاً يشبه الذي، ويجلب منه إلى المهل، وإنّما أكل أهلها سمك يشبه الليرون يسمونه قلب الماس، ولحمه أحمر، ولا زفر له، إنّما ريحه كريح لحم الأنعام، وإذا اصطادوه قطعوا السمكة منه أربع قطع، وطبخوه يسيراً، ثم جعلوه في مكاتيل من سعف النخل، وعلقوه للدخان، فإذا استحكم يبسه أكلوه، ويحمل منها إلى الهند والصين واليمن، ويسمّونه قلب الماس[7].

وأقول: هو نوع من سمك التونة، يسمى الآن في مالديف (كالوبلامس) ولا يزالون يفعلون به هذا ويصدَّر في الوقت الحاضر إلى سيلان والهند واليابان.

---

(١) ربما كان هو (كايدو) في الشمال.

(٢) يسمى الآن (جوتيم) في شمال الجزر.

(٣) لم يتغير اسمه وهو أقصى الجزر من جهة الشمال.

(٤) هو كندي كول في جهة الجنوب من العاصمة.

(٥) جزيرة كبيرة في أقصى الجنوب تسمى الآن (ملك).

(٦) اسمه الآن (أدو) في أقصى جنوب مالديف ولعل أصل كتابة ابن بطوطة (الويد) فحرف من النساخ.

(٧) لا يزالون يفعلون به هذا ويصدر في الوقت الحاضر إلى سيلان والهند واليابان.

قال: وللسمك الذي يغتذون به قوة عجيبة في الباءة لا نظير لها، ولأهل هذه الجزائر عجب في ذلك، ولقد كان لي بها أربع نسوة وجوار سواهن، فكنت أطوف على جميعهنّ كلّ يوم، وأبيت عند من تكون ليلتها، وأقمت بها سنة ونصف أخرى على ذلك[1].

قال: وبنيانُهم بالخشب، ويبنون في أسطوان الدار بيتاً يسمّونه المالَم[2]، الرجل فيه مع أصحابه، ويكون له بابان أحدهما إلى جهة الأسطوان يدخل منه الناس، والآخر إلى جهة الدار يدخل منه صاحبُها ويكون عند هذا البيت خابيةٌ مملؤةُ ماء، ولها مُستقى يسمّونه الوَلَنْج[3]، وهو من قشر جوز النارجيل، وله نصابٌ طولُه ذراعان، وبه يسقون الماء من الآبار لقربها[4].

قال ابن بطوطة: «ومن عوائد أهل مالديف إذا قدمَ عليهم مركَبٌ أن تخرج إليه الكنادر، وهي القواربُ الصغار، واحدها كُنْدُرة، وفيها أهلُ الجزيرة معهم التنبول والكرنبة، وهي جوز النارجيل الأخضر».

أقول: اسمه (كورومبا) وهو جوز الهند الذي لم ينضج بعد، وإنما يشرب ماؤه.

---

(١) لا يزال المالديفيون يعتقدون هذا الاعتقاد في هذا السمك.

(٢) يسمى الآن (ماليم) بمعنى غرفة الجلوس.

(٣) يقولون له في الوقت الحاضر (أدولي).

(٤) رأيتهم يفعلون ذلك ولكنهم استبدلوه بعصا في طرفها علبة من المعدن أو الصفيح يأخذون بها الماء من البئر.

قال ابن بطوطة: «وفائدة المخزن، ويسمونه البندر[1]، أن يشتري من كلّ سلعة بالمركب حظّاً بسَوم معلوم سواء كانت السلعة تساوي ذلك أو أكثر منه، ويسمّونه شرعَ البندر».

أقول: هو (باداروا) ويعني في اللغة المالديفية الميناء.

قال: «ويكون للبندر بيتٌ في كلّ جزيرة من الخشب يسمّونه البَجَنْصار يجمعُ به الوالي، وهو الكردوري، جميع سلعه ويبيعُ بها ويشتري».

وقال أيضاً: «ويحملون القَنْبَر[2]، وهو ليف جوز النارجيل، وهم يدبغونه، في حُفَر على الساحل، ثمّ يضربونه بالمرازب ثمّ يغزلُه النساء، وتُصنعُ منه الحبال لخياطة المراكب، وتحمل إلى الصين والهند واليمن، وهو خيرٌ من القنّب.

قوله: يدبغونه، يريد ينقعونه.

وصرفُ أهل هذه الجزائر الودع، وهو حيوان يلتقطونه في البحر، ويضعونه في حُفَر هنالك فيذهبُ لحمه ويبقى عظمُه أبيض، ويسمون المائة منه سياء[3]، ويسمون السبعمائة منه الفال[4]، ويسمّون المائة ألف منه بُسْتُو[5]».

---

(١) هذه الكلمة لم يتغير لفظها في اللغة المالديفية المعاصرة.

(٢) أي: ينقعونه في الماء.

(٣) اللفظ الصحيح الآن (هياه).

(٤) لا تزال الكلمة مستعملة بلفظ (فال).

(٥) تعرف الآن بلفظ (بستي).

قال: ولنسائهم الخلاخيل، ويسمّونها البايل، وقلائدُ ذهب يجعلنها على صُدورهن، ويسمونها البَسْدَرَد[1].

ذكر السبب في إسلام أهل جزر مالديف؟

أوضح ابن بطوطة بأن إسلام أهل مالديف بسبب رجل مغربي اسمه أبو البركات البربري وتحدث عن كيفية إسلامهم على يده فيما سوف أذكره.

وذلك أنني رأيت ذلك مكتوباً في المسجد الجامع في جزيرة (مالي) عاصمة مالديف.

قال ابن بطوطة:

ذكر السبب في إسلام أهل هذه الجزائر، وذكر العفاريت من الجن التي تضربها في كل شهر.

حدثني الثقات من أهلها كالفقيه عيسى اليمني، والفقيه المعلم علي والقاضي عبدالله وجماعة سواهم أن أهل هذه الجزائر كانوا كفاراً وكان يظهر لهم في كل شهر عفريتٌ من الجنّ يأتي من ناحية البحر كأنّه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عادتُهم إذا رأوه أخذوا جاريةً بكراً فزيّنوها وأدخلوها إلى بُدْخانة[2]، هي بيت الأصنام، وكان مبنيّاً على ضفة البحر، وله طاق يُنطرُ إليه منه، ويتركونها هنالك ليلةً، ثم يأتون عند الصباح، فيجدونها مفتضّةً ميتةً، ولا يزالون

---

(١) تسمى في الوقت الحاضر: (فستدرباي).

(٢) بدخانة: معبد البوذيين.

في كلّ شهر يقترعون بينهم، فمن أصابتهُ القرعة أعطى بنته.

ثم إنّه قدم عليهم مغربي يسمّى بأبي البركات البربري، وكان حافظاً للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل[1]، فدخل عليها يوماً، وقد جمعت أهلها، وهن يبكينَ كأنهن في مأتم، فاستفهَمَهنّ عن شأنهنّ، فلم يُفهمنَه، فأتَى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها، وليس لها إلا بنتٌ واحدة يقتلها العفريت، فقال لها أبو البركات: أنا أتوجّه عوضاً عن بنتك بالليل، وكان سناطاً لا لحية له، فاحتملوه تلك الليلة، وأدخلوه إلى بُدخانة، وهو متوضيء، وأقامَ يتلو القرآن، ثم ظهرَ له العفريتُ من الطاق فداومَ التّلاوة، فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاصَ في البحر وأصبح المغربي وهو يتلو على حاله، فجاءت العجوز وأهلُها وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلو، فمضوا به إلى ملكهم، وكان يسمى شَنْورازة[2]، وأعلموه بخبره، فعجبَ منه، وعرض المغربي عليه الإسلام ورغّبهُ فيه، فقال له: أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك، ونجوت من العفريت، أسلمت، فأقام عندهم وشَرَح الله صدر الملك للإسلام، فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلمَ أهلُه وأولاده وأهلُ دولته.

---

(١) هي جزيرة (مالي) عاصمة مالديف في الوقت الحاضر.

(٢) لا يزال المالديفيون يسمون بهذا الاسم ولكن بلفظ: (شاني ويرازه).

ثم حُملّ المغربي لمّا دخل الشهر إلى بُدْخانة، ولم يأت العفريت، فجعل يتلو حتى الصباح، وجاء السلطان والناسُ معه، فوجدوه على حاله من التلاوة، فكسروا الأصنام وهدموا بُدخانة، وأسلم أهل الجزيرة، وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها، وأقام المغربي عندهم معظماً، وتمذهبوا بمذهبه مذهب الإمام مالك، رضي الله عنه، وهم إلى هذا العهد يعظّمون المغاربة بسببه، وبنى مسجداً.

انتهى كلام ابن بطوطة.

وينبغي أن نتذكر أن مالديف تقع إلى الجنوب من الهند مع ميل إلى الغرب، ومع ذلك وصلها المغاربة في القرون القديمة، ولا تزال للمغاربة بقية سيلان يسمون (المور) وينتسبون إلى المغاربة.

فمتى دخل الإسلام إلى مالديف؟ وكيف دخل؟

هذان سؤالان تسهل الإجابة على الأول منهما، وتعترض بعض الصعوبة الجواب عن الثاني.

إذْ عرفنا من نقش باللغة العربية محفوظ في المتحف الوطني في مالديف أن دخول الإسلام إليها بمعنى اعتناق أهلها الدين الإسلامي كان في عام ٥٤٨هـ، بل حدد الشهر الذي أسلم فيه ملك مالديف وتبعه أهل دولته وهو شهر ربيع الثاني من العام المذكور، وذلك النقش الذي لا يزال واضحاً كل الوضوح مؤرخ في شهر ذي الحجة عام ٧٣٨هـ أي بعد دخول أهل مالديف في الإسلام بمائة وتسعين سنة وهي مدة قصيرة نسبياً مما يوثق ما جاء في النقش المذكور إن كان الأمر يحتاج إلى توثيق.

هذا هو الجواب على السؤال الأول.

أما الجواب على السؤال الثاني وهو: كيف أسلم أهل مالديف؟ فإنه ليس واضحاً إذْ النقش السابق يقول: إن أبا البركات البربري كان هو سبب هداية ملك هذه البلاد وأهلها إلى الإسلام، وهذا أمر مجمع عليه ممن تكلموا في هذا الأمر ممن بلغنا كلامهم ولكن السؤال المهم: هو كيف استجاب الملك ومن تبعه من قومه لأبي البركات البربري؟

وذكروا أن الملك عندما أسلم بنى مسجداً هو الذي يسمى الآن مسجد الجمعة وسبق ذكره، وذلك بإشارة من الشيخ أبي البركات البربري رحمه الله.

وعندما وصلت إلى (مالديف) سألت طائفة من أهل العلم والبحث عن قصة العفريت هذه فقالوا كلهم: إنها خرافة، فسألتهم ألا تعتقدون أن لها أصلاً حقيقياً يمكن أن يقره العقل، ولكن الناس أدخلوا عليه من الزيادات ما ألحقه بالخرافة؟.

فقالوا: لا.

أما أنا فإنني أعتقد أنه ربما كان للقصة أصل صحيح، ولكن على غير هذا الوجه، مثل: أنه كان يأتيهم إعصار من البحر في الأزمان الموغلة في القدم فيلحق بهم الضرر لقلة عددهم ولضيق سطح جزيرتهم فيحملهم الخوف والهلع على تقديم قربان له من أحسن ما عندهم وبخاصة أنفس ما يريده الرجال من الجنس الآخر، وهو الفتاة

العذراء مثل ما كان يفعل المصريون عندما دخل عمرو بن العاص مصر بعد الفتح الإسلامي، فوجد أن أهلها يرمون في النيل فتاة مزينة يرون أن النيل لا يجري إلاّ إذا رميت فيه الفتاة فأبطلها عمرو بن العاص بعد أن صدر إليه الأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمر النيل يجري دون أن تقدم إليه ضحية بريئة.

على أن هناك احتمالاً آخر وهو أن يكون بعض المجرمين قد استغلوا حالة نفسية خاصة، ربما كانت سائدة في تلك الجزيرة في فترة من الفترات فأخذوا يأتون بالفعل في قارب لهم فيه نار، وربما ضربوا الدفوف أو احدثوا جلبة ويكتفون بما يقدم إليهم من فدية ثم يقتلون ضحيتهم بعد أن يقضوا منها ومن أخذ الفدية ما يريدون لئلا تخبر بحقيقة حالهم فظن الناس أن الذي يأتيهم على تلك الهيئة إنما هو عفريت من العفاريت التي لا يمكنهم صدها، وساعد نقص وسائل الاطلاع، وعدم رسوخ عقيدة التوحيد في نفوسهم ـ قبل إسلامهم ـ على إثبات ذلك حتى أصبح أمراً مسلماً به.

الوثيقة الخشبية المهمة:

لعل أهم ما في المتحف الوطني في مالي عاصمة ماليديف، بل ربما في هذه الجزيرة كلها من الناحية التاريخية تلك الوثيقة التي رايتها وتمثل لوحاً من الخشب المحفور فيه كتابة عربية واضحة تشبه خطوط القرن الثامن والسابع في البلاد العربية الوسيطة كالشام والعراق والكتابة بحروف بارزة، ولكن بعضها وضع فوق بعض حتى تأخذ

الشكل الزخرفي المناسب شأن الكتابات التي تماثلها ولكنها واضحة يمكن الشخص العادي الذي سبق له أن عانى قراءة المخطوطات العربية القديمة مثلي أن يقرأها بسهولة، ومع ذلك فقد رأيتهم نقلوا نص هذه الكتابة العربية في ورقة باللغة العربية بخط اليد وألصقوا على اللوح في أسفل تعريف قصير باللوح باللغة الإنكليزية كما يكون في سائر المعروضات، وهذا اللوح من الخشب كان في المسجد الجامع في جزيرة مالي وذلك قبل عمارته الحالية التي سبق الكلام عليها وهي العمارة التي بناها السلطان إبراهيم اسكندر في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، ويظهر أن بعض الكتابة كانت في لوح آخر إلا أن كل الكتابة المهمة موجودة فيها ظاهرة.

وأول الكتابة يحكي دخول الإسلام إلى الجزيرة وأنه كان في شهر ربيع الآخر عام ٥٤٨هـ وأن أبا البركات البربري دعا السلطان درمس بن عبدالله وأخاه سرى بلوا رحمه الله إلى الإسلام فأسلم السلطان وأسلم أهل مملكته وبنى هذا المسجد في ذلك التاريخ، وبعد ذلك جاءت العبارة المتعلقة ببناء المسجد الجامع ونصها بعد حذف يسير من الألقاب والدعاء وهي تتحدث عن تجديد بناء هذا المسجد الجامع الذي هو أول مسجد أسس في هذه الجزيرة على يد أول السلاطين المسلمين: (بناء ـ أي المسجد الجامع ـ السلطان بن السلطان شهاب الدين أحمد بن أبي الفتح جلال الدين عمر بن صلاح الدين خلد الله ملكه، وأمر للوزير علي بن أبي الفتح الصلاح بعمارته، فبنى وعمر

وقام فيه بحمد الله وشكره وفرغ من عمارته في شهر ذي الحجة سنة ثمان وثلاثون (كذا) وسبع مائة من الهجرة النبوية على صاحبها السلام).

هذا وقد رجعت إلى النص المكتوب في اللوح من حيث اسم السلطان الأول فوجدته مكتوباً فيه (دمس) وربما كان هذا أصح إذا كان اسماً غير إسلامي.

وهذا النص مهم إذْ يحدد تاريخ إسلام أهل هذه الجزر، وذلك بزمن ليس بعيداً جداً عن ذلك التاريخ، وربما كان قد أخذ ذلك من نص كان مكتوباً على المسجد الجامع الأول قبل أن يجددوا عمارته أو من غيره من النصوص المكتوبة وهذا البناء الذي منه هذا اللوح الخشبي هو الذي كان موجوداً عندما زار ابن بطوطة هذه الجزر وأقام بها عاماً ونصفاً قاضياً لأهلها في القرن الثامن الهجري.

وهو يوثق كلام ابن بطوطة، ويؤكد أكثر ما ذكره.

زيارة ابن بطوطة لسيلان (سيرلنكا):

إن بطوطة رحمه الله يكاد يكون المصدر الوحيد للمعلومات المتعلقة بكثير من البلدان، ومنها سيلان في العصور الوسيطة، وكلامه عن سيلان أكثره من الحقائق التي يشهد لها أهل سيلان في الوقت الحاضر.

وفيها أشياء قليلة مما أشكل عليهم معرفته لأنه غامض على أفهامهم.

ومرجع ذلك إما أن يكون من تحريف النساخ أو يكون من تغير الأسماء على مرِّ السنين.

وعلى أية حال فإننا سوف نتكلم على ما ذكره ابن بطوطة في رحلته من أجل معرفة حقيقته في الوقت الحاضر، وذلك أمر مهم في معرفة صدق ابن بطوطة في كلامه، ودقته في نقل المعلومات، كما تقدم.

قال ابن بطوطة رحمه الله:

«وسافرنا ولم يكن معنا رئيس عارف، فسرنا نحن تسعة أيام، وفي التاسع منها خرجنا إلى جزيرة سيلان، ورأينا جبل (سَرَنْديب) فيها ذاهباً في السماء كأنه عمود دخان».

فذكر (سيلان) باسمها الذي ذكرها به البلدانيون في العصور الوسيطة مثل ياقوت الحموي، وذكر اسمها القديم (سرنديب)، وكانت تعرف به في كتب الثقافة العربية القديمة، ومعناه (جزيرة الياقوت) لأن (سرن): ياقوت، و(ديب): جزيرة.

وذكر بعد ذلك سلطاناً من سلاطين الكفار في سيلان، وأن اسمه (أيري شَكْروني) ويعرف الآن في الكتب السيلانية باسم (براراشا شكاران).

قال ابن بطوطة: فاستدعاني، فذهبتُ له إلى مدينة بَطَّالة وهي حضرته، مدينة صغيرة حسنة، عليها سورُ خشب وأبراج خشب، وجميع سواحلها مملؤة بأعواد القرفة.

فذكر ابن بطوطة مدينة (بطالة) واسمها الآن (بتَّالَم) وقد زرتها وذكرت كلام ابن بطوطة، والقرفة يعني: الدار صيني، وهو الآن موجود في سيلان بكثرة.

قال: فسألني سلطانها عن البلاد التي جئت منها، هل فيها ياقوت؟ فقلت له: نعم! رأيته بجزيرة قيس وجزيرة كش التي لابن السواملي، فقال: سمعتُ بها، ثم أخذ حبَّات منه فقال: أيكون في تلك الجزيرة مثل هذه؟

فقلت له: رأيت ما هو دونها، فأعجبه ذلك، وقال: هي لك».

وذكر ابن بطوطة أنه قال لملك سيلان:

«ليس مرادي منذ وصلتُ هذه الجزيرة إلاَّ زيارة القدَم الكريمة قدم آدم، عليه السلام، وهم يسمونه (بابا) ويسمون حواء (ماما)».

أقول: لا يزال السيلانيون يسمون آدم (بابا) ولذلك من ولد يوم الجمعة يسميه المسلمون (آدم بابا)، أما حواء فإنهم لا يسمونها (ماما) وإنما يقول: حواء، وربما كان غير المسلمين من أهل سيلان يسمون حواء (ماما).

قال ابن بطوطة: «ونزلنا ذلك اليوم على وادٍ جزناه في معدِّية مصنوعة من قصب الخيزران، ثم رحلنا من هناك إلى منَار منْدلِي: مدينة حسنة هي آخر عمالة السلطان».

وأقول: تسمى الآن (منَّار منْدل) وتقع على ساحل البحر الآن إلاَّ أنها بعيدة عنه نوعاً ما.

ولم نرَ في هذه المدينة مسلماً غير رجل خراساني انقطع بسبب مرضه، فسافر معنا ورحلنا إلى (بَنْدَرْسلاوات).

أقول: وهي بلدة صغيرة وتسمى هذه البلدة الآن (سلاون) وهي ميناءُ صغيرة على البحر.

قال: ثم وصلنا بعد ذلك إلى مدينة (كُنْكَار)، وهي حضرة السلطان الكبير بتلك البلاد.

أقول: تعرف الآن باسم (كورناقار).

وقال ابن بطوطة:

«وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها، وهي متملّكة، فيشتري الإنسان القطعة منها ويحفر عن الياقوت، فيجد أحجاراً بيضاء مُشعَّبة، وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها، فمنه الأحمر، ومنه الأصفر، ومنه الأزرق».

وأقول: ربما كان ابن بطوطة لا يعرف معنى اسمها القديم (سرنديب) وأنه جزيرة الياقوت وإلاّ لما استغرب ذلك.

قال: ثم رحلنا عنها ونزلنا بالخور المعروف بخور بوزنه، وبوزنه هي القرود.

ولا يزال أهل الهند يسمون القرود بهذا الاسم (بوزنه) وفي سيلان (فيزن).

قال ابن بطوطة وهو يتكلم على الجبل الذي يزعم الزاعمون أن قدم آدم عليه السلام حين نزل من الجنة إلى الأرض منطبعة فيه.

ذكر جبل سرنديب:

«وهو من أعلى جبال الدنيا، ولما صعدناه كنَّا نرى السحاب أسفل منا قد حالَ بيننا وبين رؤية أسفله».

«وفي الجبل طريقان إلى القدم، أحدهما يعرف بطريق (بابا) والآخر بطريق (ماما) يعنون آدم وحواء، عليهما السلام».

أقول: ولا يزال الناس حتى الآن في سيلان يعتقدون بذلك على اختلاف أديانهم، وقد حاولت أثناء زيارتي سيلان أن أذهب إليه بطائرة مروحية، ولكن الأحوال الجوية لم تكن تسمح بذلك، والمقصود من ذلك بيان صدق ابن بطوطة هنا.

قال: ورحلنا من هناك يومين إلى مدينة (دِينَوَر)، مدينة عظيمة على البحر يسكنها التجَّار. إهـ.

و(دِينَوَر) هذه اسمها الآن بالسنهالية (دَوِنُوَرا)، والسنهالية هي لغة الأكثرية من سكان سيلان الآن.

قال: ثم رحلنا إلى مدينة قالي، وهي صغيرة على ستة فراسخ من دِينَوَر.

(وقالي) لا تزال حتى الآن تسمى بهذا الاسم الذ ي سماها به ابن بطوطة (قالي) دون أي تغيير.

ثم قال: ثم رحلنا فوصلنا بعد ثلاثة أيام إلى بَطَالة، وقد تقدم ذكرها، وأنها التي ذكرنا أن اسمها في الوقت الحاضر بُتَّالم وقد زرتها وتكلمت عليها في رحلتي إلى سيلان.

ونذكر معاناة ومخاطر اعترضت طريق ابن بطوطة هنا، قال:

ثم وصلنا إلى حارة[1] كادَ المركبُ ينكسر فيها، ثم دخلنا بحراً قصيراً فتجلّس[2] المركب، ورأينا الموت عياناً، ورمى الناس بما معهم وتوادعوا، وقطعنا صاري المركب فرَمينا به، وصنع البحرية معدية من الخشب، وكان بيننا وبين البر فرسخان، فأردت أن أنزل في المعدية، وكان لي جاريتان وصاحبان من أصحابي فقالا: أتنزلُ وتتركنا، فآثرتهما على نفسي، وقلت: انزلا أنتما والجارية التي أحبها، فقالت الجارية: إني أحسن السباحة، فأتعلق بحبل من حبال المعدية وأعوم معهم، فنزل رفيقاي وأحدهما محمد بن فرحان التوزري، والآخر رجل مصري، والجارية معهما، والأخرى تسبح، وربط البحرية في المعدية حبالاً وسبحوا بها، وجعلتُ معهم ما عزَّ عليَّ من المتاع والجواهر والعنبر، فوصلوا إلى البر سالمين لأن الريح كانت تساعدهم.

وأقمت بالمركب ونزل صاحبه إلى البر على الدفّة، وشرع البحرية في عمل أربع من المعادي فجاء الليل قبل تمامها، ودخل معنا الماء، فصعدتُ إلى المؤخر وأقمت به حتى الصباح.

وهذه حادثة واحدة تعرض فيها ابن بطوطة للخطر قرب جزيرة سيلان التي تسمى الآن (سيرلنكا).

---

(١) ربما كان الصحيح خورة تثنية خور.

(٢) تجلّس، بمعنى تَعَطّل.

زيارة ابن بطوطة إلى مالي الإفريقية:

بعد أن ألقى ابن بطوطة رحاله في بلاده المغربية، لم يستتم للراحة، وإنما عاوده حنينه إلى السفر والإغتراب والإطلاع على البلاد البعيدة فوَجَّهَ وجهه لبلاد مالي، وهي مملكة إسلامية واسعة شاسعة كان لها ذكر مجلجل في التاريخ الإسلامي في غرب إفريقية، حتى عدّ القلقشندي سلاطين الإسلام بأنهم أربعة، ذكر منهم سلطان مالي.

وقال المؤرخون والجغرافيون العرب: إن مملكة سلطان مالي تمتد لمسيرة أربعة أشهر طولاً وشهرين عرضاً.

وهي جزء بل هي القلب النابض لبلاد السودان ذي الأمجاد التاريخية العظيمة وذلك قبل أن يعرف اسم السودان العربي، الذي عاصمته الخرطوم الآن، فهذا تسميته متأخرة عن ذاك.

وللتفريق بين السودانين في القديم غير البعيد سمي السودان الذي فيه مملكة مالي في العصور الوسطى بالسودان الغربي تمييزاً له عن السودان العربي الواقع في شرق إفريقية.

وقد عرفت أولى الممالك في السودان الغربي هذا في القرن الثالث والرابع الهجريين قبل ظهور مملكة مالي بمملكة غانة.

وتقع غانة القديمة على ضفتي نهر السنغال كما يسمى الآن، وكان يسمى قديماً (نيل غانة) تمييزاً له عن (نيل السودان) الذي يعرف الآن بنهر النيجر والتسمية الحديثة له مضافة إلى البلاد التي يقع فيها وهي السودان الغربي، وأما الأخيرة المعروفة الآن فإن أصلها

تسمية عنصرية معناها (نيل الزنج) أو نهر الزنج ـ جمع زنجي مع أن أهل هذه البلاد ليسوا زنوجاً ولا يسمون في كتبنا العربية القديمة بالزنوج وإنما يسمون بالسودانيين.

إن بلاد مالي القديمة ورثتها الآن جمهورية مالي المعاصرة، لكن على رقعة صغيرة منها وإن كانت تقع في قلبها.

وأول ما افتتح ابن بطوطة كلامه مما يوثقه قوله:

ولما عزمت على السفر إلى مالي ـ وهذا هو اسمها القديم التي كانت تعرف به في الكتب العربية القديمة تطور بعد ذلك إلى سلطنة السودان ثم سلطنة بلاد التكرور قال:

وبينها أي بين بلاد مالي وبين (ايو الاتن) مسيرة ٢٤ يوماً، ويريد بمالي هنا عاصمة مملكة مالي وتقع الآن في جمهورية غينيا كونكري غير بعيدة من حدود جمهورية مالي، بل لا يتعدى ذلك اثني عشر كيلو متراً داخل غينيا.

قال: اكتريت دليلاً من (مسوّفة) فذكر مالي وذكر (ايوا لاتن) وهي (ويلاتا) الآن.

قال: ولما عزمتُ السفر إلى مالي، وبينها وبين (ايوا لاتن) مسيرة أربعة وعشرين يوماً للمجدّ، أكتريت دليلاً من مسوفة.

أقول: و(ايوا لاتن) واقعة في جنوب موريتانيا الشرقي وتسمى الآن (ويلاتا) كما قال الشيخ محمد بن عمر الدكوري في أرجوزة له اسمها: (عقود الجمان، في رد البدع وتبيين سنة رسول المنان).

والمنتقـــى وشـــرحه لجعفـــر حـبر (ولاتـة) الإمـام الأكـبر

والمراد بالمنتقى كتاب: (منتقى الأصول في الفقه)وقوله:

وشـاع هـذا القـصر في البـوادي إذ لـيس في أعيانهـا مـن هـادي
أمـــا (ولاتـــة) ففـــي وثـــاق عنـــه، بـــاذن المالـــك الخـــلاق

وتبعد (ولاتة) عن باماكو عاصمة مالي الحالية بنحو خمسمائة كيلومتر.

كما ذكر مسوّفة وهي قبائل تتكلم العربية الآن ولكن ذكر المؤرخون أن أصلهم من البربر، والمعتقد أن أصولهم القديمة عربية.

وقال فيما يتعلق بأهل مالي:

ويستخرجون من هذه الأرض حبَّ الفول، فيقلونها ويأكلونها، وطعمها كطعم الحمّص المقلو، وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج، وقلوه بالغرتي، والغرتي هو ثمر كالإجاص شديد الحلاوة، مضر بالبيضان إذا أكلوه، ويدق عظمه فيستخرج منه زيت، لهم فيه منافع، فمنها أنهم يطبخون به، ويسرجون السرج، ويقلون به هذا الاسفنج، ويدَّهنون به، ويخلطونه بتراب عندهم ويسطحون به الدور، كما تسطح بالجير.

والفول المقصود به الفول السوداني.

والغرتي، يسمى الآن في تلك المنطقة (قرتي) بلغة السراقولي، ويسميه الموريتانيون أيضاً (قرتي) وقوله: مضر بالبيضان: لا يعرف الآن

أنه مضر، إلا إذا كانوا أكلوه غير ناضج، وهو معروف عندهم الآن بأنه يمنع الرطوبة وتأثير المطر، إذا طليت به السطوح والجدران.

قال ابن بطوطة: وهو عندهم كثير متيسر ويحمل من بلد إلى بلد في قرع كبار، تسع القرعة منها قدر ما تسعه القلة ببلادنا.

قال: والقرع ببلاد السودان يعظم، ومنه يصنعون الجفان، يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين، وينقشونها نقشاً حسناً، وإذا سافر أحدهم يتبعه عَبيدُه وجواريه يحملون فرشه وأوانيه التي يأكل ويشرب فيها وهي من القرع.

أقول: القرع هو المسمى باليقطين، وكان في بلادنا يصنع به ما يشبه ذلك، إذْ يتركون القرعة حتى تجف وتيبس ثم يستخرجون لبها اليابس فيكون جلدها إناء قوياً كالقارورة الكبيرة.

قال: وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكي وتاسر غنت، وهو بخورهم، فإذا وصل قرية جاء نساء السودان بأنلي.

وأنلي: ويقال له اليوم (يلّي) بتشديد اللام وهو اسم لطائفة من الحبوب كالدخن والذرة الصغيرة وهذا بلغة السراقولي إحدى اللغات الشائعة في المنطقة، والأرز.

قال ابن بطوطة: والفوتي ـ والصحيح (الفوني) بالفاء والنون ويسمى الآن عندهم (فونيو) وقد أكلته أنا مراراً في مالي وهو حب دقيق يشبه الخردل يصنعون منه ما يشبه الكسكسو عند الإخوة المغاربة.

قال ابن بطوطة: وبعد مسيرة عشرة أيام من أيوا لاتن وصلنا إلى قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمون (وانقري).

يقول الشيخ عبدالوهاب الدكوري: إنهم السراقوليون وأن كلمة (وانقري) تطلق على السراقوليين في تنبكتو ويلاحظ أن ابن بطوطة كان يقص رحلته بعد عودته إلى بلاده ومروره بتنبكتو.

قال ابن بطوطة: والسنيُّون المالكيُّون من البيض يسمّون عندهم توري.

وأقول: الظاهر أن هؤلاء البيض قد أصبحوا سوداً الآن، بسبب الجو والمصاهرة وربما يكون جماعة (توري) من بقاياهم ومنهم الرئيس أحمد سيكو (توري) رئيس جمهورية غينيا، وسيكو: شيخ، لأن أصل تسميته شيخ توري.

ثم ذكر ابن بطوطة بلدة اسمها (كبرة)، لم يتغير اسمها فهي تسمى الآن (كبره) وتبعد عن مدينة تنبكتو تسعة كيلو مترات.

إلى أن قال: وينحدر النيل يريد نهر النيجر من زاغة إلى تنبكتو، ثم إلى كوكو، وسنذكرهما.

أقول: كوكو هي (قاو) الآن ـ بجيم مصرية ـ ويظهر أن ابن بطوطة قد تابع المؤرخين العرب الذين كانوا يكتبون الجيم المصرية كافاً، وأصل تسميتها (قاو قاو) بجيم مصرية وكلمة مكررة.

قال ابن بطوطة: فوصلنا إلى نهر صنصرة.

وأقول: هي (سنكرن) في الوقت الحاضر واقعة في مالي، وهي

على نهر اسمه (سلينفي) أقيم عليه سد أسهمت المملكة العربية السعودية في الإنفاق عليه.

قال ابن بطوطة: ثم سرنا من كارسخو فوصلنا إلى نهر صنصرة، وهو على نحو عشرة أيام من مالي.

يريد بمالي هنا عاصمة مملكة (مالي) وتوجد الآن في أراضي جمهورية غينيا، من حدودها الحالية مع جمهورية مالي.

ومعلوم أن حدود مملكة مالي القديمة كانت واسعة تمتد من المحيط الأطلسي إلى بلاد الكانم في تشاد والبرنو في شرقي نيجيريا الشمالي.

قال: وبعث إليَّ الفقيه عبدالواحد غرارتين من الفوتي.

أقول: هو (الفونيو) كما يعرف الآن، وتقدم ذكره، وقرعة من الغرتي، وهو القرتي كما تقدم أيضاً.

ثم قال ابن بطوطة:

ذكر سلطان مالي:

وهو السلطان منسى سليمان، ومنسى معناه السلطان، وسليمان اسمه.

إلى أن قال: وأقمت بعد بعث هذه الضيافة شهرين لم يصل إليَّ فيهما شيء من قِبَل السلطان، ودخل شهر رمضان، وكنت خلال ذلك أتردد إلى المشور، وأسلم عليه.

والمشور: مجلس السلطان أو الحاكم، ربما كان أصل الكلمة من كونه مكاناً للاجتماع الذي قد يجري فيه التشاور في شؤون البلاد.

قال: وعند جلوس السلطان يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين، فيدعون نائبه فنجا.

أقول: الصحيح (كانجا ماسا) ومعناه، بلغة البامبارا: لسان حال السلطان، وبلغة السراقولي (قنجا ماسا) وعمله بمثابة عمل رئيس الوزراء.

قال:

ذكر جلوسه بالمشور:

ويجلس أيضاً في بعض الأيام بالمشور، وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البَني، وتفرش بالحرير وتجعل المخادّ عليها.

أقول: تسمى الآن (باميلي) وهي بناء من الطين مرتفع يجلس عليه هذا هو اسمه الآن بلغتي السراقولي والبامبارا.

قال ابن بطوطة:

ذكر تذلل السودان لملكهم وتترييهم له:

والسودان أعظم الناس تواضعاً لملكهم، وأشدهم تذللاً له، ويحلفون باسمه فيقولون: منسى سليمان كي، فإذا دعا بأحدهم عند جلوسه بالقبة التي ذكرناها نزع المدعو ثيابه ولبس ثياباً خَلَقَة، ونزع

عمامته، وجعل شاشة وسخة، ودخل رافعاً ثيابه وسراويله إلى نصف ساقه، وتقدم بذلة ومسكنة، وضرب الأرض بمرفقيه ضرباً شديداً، ووقف كالراكع يسمع كلامه.

ورمى بالتراب على رأسه وظهره.

أقول: لا تزال بقية من ذلك أو بعضه حتى الآن.

ثم قال ابن بطوطة:

إنشاد الشعراء للسلطان:

وإذا كان يوم العيد وأتم دوغا لعبه جاء الشعراء، ويسمون الجلا، واحدهم جالي.

أقول: والواحد منهم الآن يسمى (جالي) والجمع (جالّو) والمؤنث: (جالمتو).

وذكر أن سلطان مالي، قال: إني بريء من الظلم، ومن ظلم منكم عاقبته، ومن علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه، والله حسبه وسائله.

ولمّا قال هذا الكلام وضع الفرارية، عمائمهم عن رؤوسهم وتبرؤا من الظلم.

والفرارية محرفة عن لغتهم أصلها فيها (هرو) بمعنى حُر (هورو) في لغتهم المعاصرة.

وقال رجل: منشاجو ايوا لاتن، يعني مشرفها، أخذ مني ما قيمته ست مئة مثقال وأراد أن يعطيني في مقابله مئة مثقال خاصة.

فبعث السلطان إليه للحين، فحضر بعد أيام، وصرفهما للقاضي، فثبت للتاجر حقه، فأخذه وبعد ذلك عَزل المشرف عن عمله.

أقول: منشاجو هو (منساجو) بالسين المهملة، ومعناها في الأصل عبد السلطان، أو نائب السلطان، لأن كلمة (جو) معناها: عبد في الأصل بلغة البامبرا التي كانت ولا تزال شائعة في هذه المنطقة، و(منسا) الملك، وكانوا يسمون ملوكهم (منسا فلان) ومن أشهرهم (منسا موسى) أي الملك موسى.

قال ابن بطوطة: وقبل منسي مغا منسي موسى، وكان كريماً فاضلاً يحب البيضان ويحسن إليهم، وهو الذي أعطى لابي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال، وأخبرني بعض الثقات أنه أعطى لمدرك بن فقوص ثلاثة آلاف في يوم واحد، وكان جده (سارق جاطه)، أسلم على يدي جدّ مُدرك هذا.

أقول: وسارق جاطة هذه مؤلفة من كلمتين كما تعرف الآن هما (سوقولو) وجاطه، فسوقولو: اسم أمه وجاطه ـ بالطاء المهملة ـ معناها الأسد بلغة البامبارا فمعناها إذاً: جاطة بن سوقولو.

قال ابن بطوطة:

ذكر ما استحسنته من أفعال السودان:

فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعدُ الناس عنه، وسلطانهم لا يُسامح أحداً في شيء منه.

ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب.

أقول لا تزال (مالي) تتمتع بنعمة الأمن هذه وتتميز بها عن الأقطار الإفريقية التي كانت مثلها قد ابتليت بالاستعمار الفرنسي كساحل العاج التي لا يأمن الغريب أن يسير في شوارع عاصمتها عندما يحين الظلام إلا في سيارة أو بصحبة مرافق قوي، وأما (مالي) فإن الغريب الذي لا يستر غربته شيء لبياضه يمكنه أن يتجول في عاصمة مالي في أية ساعة شاء من ليل أو نهار لا يخشى سارقاً ولا غاصباً، كما أنه يستطيع أن يسافر في أريافها وبواديها وهو آمن من ذلك.

قال ابن بطوطة:

ذكر سفري عن مالي:

يريد بذلك خروجه من عاصمة (مالي) وليس خروجه من مملكة مالي، كما هو ظاهر.

قال: وكان دخولي إليها في الرابع عشر لجمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين[1]، وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرم سنة أربع وخمسين، ورافقني تاجر يُعرف بأبي بكر بن يعقوب، وقصدنا طريقة مسيمة.

الظاهر أنها (ماسنة) وأن ابن بطوطة كتبها (مسينة) فحرفها

(١) أي وسبعمائة هجرية.

النساخ أو أنه التبس عليه النطق بالنون في اسمها فنطق بها ميماً وكتبها هكذا.

فوصلنا إلى خليج كبير يخرج من النيل، لا يُجاز إلا في المراكب، وذلك الموضع كثير البعوض، فلا يمر أحد به إلا بالليل، ووصلنا الخليج ثلث الليل، والليلُ مُقمر.

أقول: لا تزال (ماسنة) معروفة بكثرة البعوض فيها حتى الآن.

وقال ابن بطوطة: ورأيت هذه الخيل يعني أفراس النهر، مرَّة أخرى لمَّا ركبنا من تُنْبُكتو إلى كَوْكَو، يعني بذلك أفراس النهر، ولا تزال أفراس النهر موجودة في نهر النيجر حتى في أماكن قريبة من العاصمة (باماكو)، وكوكو هي (قاو) في الوقت الحاضر الواقعة في شرق (مالي) حذف المتأخرون نصف اسمها الذي كان مؤلفاً من كلمتين مكررتين، ولا تزال بعض القبائل من الطوارق تسميها حتى الآن (قاو قاو) بجيم مصرية وبتكرار اللفظ كما كان القدماء يسمونها.

قال:

وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها من السودان، حاجّ فاضل، يُسمَّى فربا مغا، وهو ممَّن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ، وقد تكررت كلمة (مغا) ومعناها: حاكم البلدة، و(فربا) معناها: الأمير من أسرة غير مالكة.

تنبكتو:

قال: ثم رحلنا إلى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها.

هي (ميما) كما تعرف في الوقت الحاضر وهي قرية واقعة بين (ولاته) وسيقو إلى الشمال من سيقو.

ثم سافرنا منها إلى مدينة تُنْبُكْتُو وبينها وبين النيل أربعة أميال، وحاكمها يُسمى فربا موسى - أي الحاكم موسى.

ويلاحظ هنا أن ابن بطوطة يكتب اسم هذه البلدة كتابة صحيحة بالنون(تنبكتو)، وليس كما أصبح الكتَّاب من العرب وغيرهم يكتبونها بالميم (تمبكتو) فهذا التحريف مرجعه إلى سهولة إدغام النون في الأصل حتى صارت تنطق ميماً وقد تكرر هذا في أعلام عربية كثيرة في أسماء الأماكن مثل ممباسا في ساحل كينيا فاسمها القديم (منبسة) ذكرها بذلك الإدريسي وابن بطوطة وياقوت ومثل (كولمبو) عاصمة سيلان أو (سري لنكا) أصله في اللفظ القديم (كلنبو).

قال: ثم أتى الأمير بمشروب لهم يسمَّى الدُّقْنو.

وأصل هذه الكلمة عند البيضان ومنهم الموريتانيون في الوقت الحاضر، التسمية بالدخن، أي كما يعرف (الدخن) في بلادنا، وهو حبوب صغيرة تشبه في حجمها حبوب السمسم كان الناس عندنا يأكلونها في أوقات المساغب وشدة الحاجة، فلعلها كانت حرفت في لغة هؤلاء الأخوة السودانيين إلى (الدقن) ثم مدت نونها بواو في آخرها

على عادتهم في إشباع الضمة في أواخر بعض الكلمات مثل (أحمدو و(محمدو) في اسم أحمد ومحمد.

قال: مدينة كوكو:

ثم سرتُ إلى مدينة كَوْكَوْ، وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان، وأكبرها، وأخصبها، فيها الأرز الكثير، واللبن، والدجاج، والسمك، وبها الفقّوس العناني الذي لا نظير له، وتعاملُ أهلها في البَيْع والشراء بالوَدَع، وكذلك أهلُ مالّي، وأقمتُ بها نحو شهر.

وأقول: هي كما تعرف الآن (قاو) بدون تكرار وقد سبق ذكر ذلك.

ابن بطوطة لم يعط حقه من التقدير:

عندما زرت مدينة تنبكتو في يوم الأربعاء ١٢ ذي الحجة عام ١٤٠٢هـ الموافق يوم ١٩٨٢/٩/٣٠م، وتجولت فيها رأيت الأمريكيين نَوّهوا بمكان رآه أو زاره أول أمريكي زار تنبكتو وكذلك فعل الإنكليز والفرنسيون.

وقد وجدت في مذكراتي من ذلك ما يلي:

أغرب تذكار:

أغرب التذكارات كانت لرجل أمريكي قالوا: إنه أول أمريكي وصل إلى تنبكتو بطريق الصحراء، ووجه الغرابة فيه أن الذين أرادوا أن يبنوا له ذلك التذكار ويخلدوا عمله في لوحة تقرأ لم يكونوا

يعرفون مكان نزوله في تنبكتو كما فعل الإنكليز والفرنسيون والألمان.

فكان أن اهتدوا إلى طريقة أو لنقل إنهم لكونهم لم يهتدوا إلى طريقة صحيحة فإنهم عمدوا إلى أهم مكان في تنبكتو وهو المكان الذي هو فناء مكشوف أي حوش قال لنا الدليل: إنه أول موضع عمر في مدينة تنبكتو، وكتبوا عند مدخله لوحة تقول:

أقيمت هذه اللوحة على شرف أول أمريكي يصل إلى تنبكتو من بيسكرة بالجزائر عام ١٩١٢ ـ ١٩١٣م.

وقالوا: إنهم أقاموا اللوحة في هذا المكان لأنه لابد أن يكون قد زار هذا المكان بالضرورة لأنه أول مكان بني من المدينة.

ولشيء آخر لم يقولوه أو يعلنوه وهو أن كل من زار مدينة تنبكتو من السياح الأجانب فإنه لابد أن يزور هذا المكان، وبالتالي لابد من أن يرى هذه اللوحة التذكارية ولو لم يقصد ذلك.

وهذا عجيب من حرصهم على تخليد أول زيارة لأول أمريكي إلى مدينة تنبكتو مع أنه ليس في ذلك ما يدعو إلى الفخر لأنها تمت في عصر متأخر هو أول العقد الثاني من القرن العشرين، ولكن من العجيب أيضاً أنهم لم يقيموا اللوحة هذه إلاَّ في وقت متأخر أيضاً، وهو عام ١٩٧٠م.

وهو تاريخ لا يبعد كثيراً عن تاريخ أول (زيارة) لأول أمريكي، بل أول إنسان إلى سطح القمر! أرأيت كيف يحرصون على تسجيل أعمال

الذين قاموا بالاكتشافات ولو كانت على سطح الأرض في الوقت الذي كانوا فيه يعملون على اكتشاف القمر؟

ثم إن المغزى من ذلك ليس مجرد الفخر مع أن العلم والمعرفة جديران بأن يفخر بهما الإنسان أياً كان مكانه وزمانه، وإنما المغزى هو الحرص على المزيد من المعرفة ومن التسابق إلى تحصيلها حتى من الأمم التي حصلت على مقادير هائلة من المعرفة في مختلف العلوم والفنون.

وإلاّ فإن وصول أول رجل أمريكي إلى تنبكتو ربما لم يأت للثقافة الغربية العامة بجديد يذكر لأن المكتشفين الأوروبيين كانوا قد سجلوا معلومات ضخمة مهمة عن هذه المدينة بخاصة وعن المنطقة كلها بصفة عامة قبل وصوله.

فأول الأشخاص من الغربيين الذين سموهم مكتشفين كان رجلاً إنكليزياً وصل إلى تنبكتو على الإبل - بطبيعة الحال - عام ١٨٢٦م.

والثاني كان فرنسياً جاء بعده بسنتين عام ١٨٢٨م، والثالث كان ألمانياً، وهم يسمون ذلك اكتشافاً أما نحن العرب والمسلمين فإننا لا نعتبر ذلك اكتشافاً إلا إذا اعتبرنا أننا مجهولون من أنفسنا، فهذه البلاد بلادنا وإن كانت همم بني قومنا قد قصرت في الأزمان المتأخرة عن طلاب المعرفة وتجشم الأخطار في سبيلها وهي معروفة لنا في كتب التاريخ والتراجم والرجال، ولكننا قد قصرنا حتى عن قراءة الكتب التي كتبها أسلافنا ومثقفونا الأولون عنها.

وقد زار ابن بطوطة تنبكتو ووصفها وصفاً دقيقاً كان هو أول وصف لها دقيق في كل كتب الثقافة في العالم كله، وذلك قبل هؤلاء بنحو سبعمائة سنة ولم يضع له قومه تذكاراً لرحلته العظيمة.

وإذا قلنا ذلك التذكار ليس من أجل عمل ابن بطوطة فهو من أجل المعلومات التي لو محيت من الكتب بمعنى أنه لم يقم ابن بطوطة بكتابتها لكانت تلك الفترة فترة مظلمة من حيث تاريخ بلاد السودان التي هي مملكة مالي القديمة، وما يتعلق بها أو يجاورها.

ابن بطوطة في بلاد المليبار:

مصطلح المليبار عندنا وبخاصة في بلاد الحرمين الشريفين يعني ساحل جنوب الهند الذي احتوته واشتملت عليه ولاية (كيرلا) الهندية.

ابن بطوطة في كاليكوت:

و(كاليكوت) مدينة رئيسية في مليبار زرتها وعرفتها أكثر من مرة وقد سماها ابن بطوطة (قالقوط)، وقد ذكر ما جرى عليه في المنطقة من متاعب، كما تعرض لبعض المظاهر الإسلامية في بلاد المليبار في ذلك التاريخ، قال من بين ما قاله:

«ثم سافرنا منها إلى مدينة قالِقُوط، وهي إحدى البنادر العظام ببلاد المليبار، يقصدها أهل الصين والجاوة وسيلان والمهل[1]، وأهل اليمن وفارس، ويجتمع بها تجار الآفاق، وأمير التجار بها إبراهيم شاه

(١) وهي جزر مالديف.

بندر من أهل البحرين، فاضل ذو مكارم، يجتمع إليه التجار ويأكلون في سماطه، وقاضيها فخر الدين عثمان، فاضل كريم، وصاحب الزاوية بها الشيخ شهاب الدين الكازروني.

وبهذه المدينة الناخوذة (مثقال) الشهير الاسم، صاحب الأموال الطائلة، والمراكب الكثيرة، لتجارته بالهند والصين واليمن وفارس، ولما وصلنا إلى هذه المدينة خرج إلينا إبراهيم شاه بندر، والقاضي، والشيخ شهاب الدين، وكبار التجار، ومعهم الأطبال والأنفار والأبواق والأعلام في مراكبهم، ودخلنا المرسى في بروز عظيم، ما رأيت مثله بتلك البلاد، فكانت فرحة تتبعها ترحة، وأقمنا بمرساها، وبه يومئذ ثلاثة من مراكب الصين، ونزلنا بالمدينة، وجعل كل واحد منا في دار[1]، وأقمنا ننتظر زمان السفر إلى الصين ثلاثة أشهر، ونحن في ضيافة ملكها الكافر.

وبحر الصين لا يسافر فيه إلاَّ بمراكب الصين، وهي ثلاثة أصناف: الكبار منها تسمى الجنوك، واحدها جنك[2]، والمتوسطة تسمى الزوْ، والصغار يسمى أحدها الككم، ويكون في المركب الكبير منها اثنا عشر قلعاً[3]، فما دونها إلى ثلاثة، وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر، ولا تحط أبداً، ويُديرونها بحسب دوران الريح.

---

(١) الدار هنا: الغرفة.

(٢) الجنكك السفينة الكبيرة.

(٣) القلع هنا: الأشرعة، جمع شراع.

ولا تصنع هذه المراكب إلاّ بمدينة الزيتون من الصين، أو بصين كلان[1]، وهي صين الصين.

إلى أن قال:

«ولما حان وقت السفر إلى الصين، جهز لنا السلطان السامري جنكاً من الجنوك الثلاث عشرة التي بمرسى قالقوط، وكان وكيل الجنك يسمى سليمان الصفدي الشامي، وبيني وبينه معرفة، فقلت له: (أريد مصرية[2]، ولا يشاركني فيها أحد لأجل الجواري، ومن عادتي أن لا أسافر إلا بهن) فقال: «إن تجار الصين قد اكتروا المصاري ذاهبين وراجعين، ولصهري مصرية أعطيكها، لكنها لا سنداسن فيها[3]، وعسى أن تمكن معاوضته»، فأمرت أصحابي فأوسقوا ما عندي من المتاع، وصعد العبيد والجواري إلى الجنك، وذلك في يوم الخميس، وأقمت لأصلي الجمعة والحق بهم، وصعد الملك سنبل وظهير الدين مع الهدية[4]، ثم إن فتى لي يسمى بهلال أتاني غدوة الجمعة، فقال: «إن المصرية التي أخذنا بالجنك ضيقة لا تصلح»، فذكرت ذلك للناخوذة، فقال: (ليست في ذلك حيلة، فإن أحببت أن تكون في

---

(١) تسمى اليوم: قوانقتسو، وتشتهر باسم (كانتون).

(٢) المصرية: غرفة خاصة في المركب.

(٣) السنداس: بيت الماء، أو المرحاض.

(٤) الهدية: هي التي بعثها سلطان الهند مع ابن بطوطة إلى ملك الصين والذين صعدوا معها كانوا قادمين معه من دلهي.

الككم ففيه المصاري على اختيارك)، فقلت: (نعم)، وأمرت أصحابي فنقلوا الجواري والمتاع إلى الككم، واستقروا به قبل صلاة الجمعة، وعادة هذا البحر أن يشتد هيجانه كل يوم بعد العصر، فلا يستطيع أحد ركوبه[1].

وكانت الجنوك قد سافرت، ولم يبق منها إلا الذي فيه الهدية، وجنك عزم أصحابه على أن يشتوا بفندرينا، والككم المذكور[2]، فبتنا ليلة السبت على الساحل، لا نستطيع الصعود إلى الككم، ولا يستطيع من فيه النزول إلينا، ولم يكن بقي معي إلاّ بساط افترشه، وأصبح الجنك والككم يوم السبت على بعد من المرسى، ورمى البحر بالجنك الذي كان أهله يريدون فندرينا فتكسر، ومات بعض أهله وسلم بعضهم.

ولما كان الليل رمى البحر بالجنك الذي كانت فيه الهدية، فمات جميع من فيه، ونظرنا عند الصباح إلى مصارعهم، ورأيت ظهير الدين قد انشق رأسه وتناثر دماغه، والملك سنبل قد ضرب مسمار في أحد صُدْغَيْه نفذ من الآخر، وصلينا عليهما ودفناهما، ورأيت الكافر سلطان قالقوط وفي وسطه شقة بيضاء كبيرة، قد لفها من سرَّته إلى ركبته، وفي رأسه عمامة صغيرة، وهو حافي القدمي، والشطر[3] بيد

---

(١) ربما كان هذا في فصل من الفصول أو جزء من فصل.

(٢) الككم سبق تعريفه بانه السفينة غير الكبيرة.

(٣) الشطر: العَلَم.

غلام فوق رأسه، والنار توقد بين يديه في الساحل، وزبانيته يضربون الناس لئلا ينتهبون ما يرمي البحر، وعادة بلاد المليبار أن كل ما انكسر من مركب يرجع ما يخرج منه للمخزن[1]، إلاَّ في هذا البلد خاصة، فإن ذلك يأخذه أربابه، ولذلك عمرت وكثر تردد الناس إليها.

ولما رأى أهل الككم ما حدث على الجنك رفعوا قلعهم وذهبوا، ومعهم جميع متاعي وغلماني وجواريَّ، وبقيت منفرداً على الساحل ليس معي إلاَّ فتى كنت أعتقته، فلما رأى ما حل بي ذهب عني ولم يبق عندي إلاَّ عشرة دنانير، والبساط الذي كنت أفترشه، وأخبرني الناس أن ذلك الككم لابد له أن يدخل مرسى كوكم، فعزمت على السفر إليها، وبينهما مسيرة عشر في البر، أو في النهر أيضاً لمن أراد ذلك، فسافرت في النهر، واكتريت رجلاً من المسلمين يحمل لي البساط وعادتهم إذا سافروا في ذلك النهر، أن ينزلوا بالعشي فيبيتوا بالقرى التي على حافتيه، ثم يعودوا إلى المركب بالغدو، فكنا نفعل ذلك، ولم يكن بالمركب مسلم إلاَّ الذي اكتريته، وكان يشرب الخمر عند الكفار إذا نزلنا، ويعربد عليَّ فيزيد تغير خاطري.

ووصلنا في اليوم الخامس من سفرنا إلى كُنْجي كري، وهي بأعلى جبل هناك، يسكنها اليهود، ولهم أمير منهم، ويؤدون الجزية لسلطان كوكم.

---

(١) المخزن هنا: الحكومة.

وفي اليوم العاشر وصلنا إلى مدينة كوكم، وهي أحسن بلاد المليبار، وأسواقها حسان، وتجارها يعرفون بالصوليين، لهم أموال عريضة، يشتري أحدهم المركب بما فيه، ووسقه من داره بالسلع وبها من التجار المسلمين جماعة، كبيرهم علاء الدين الآوجي، من بلاد العراق، وهو رافضي، ومعه أصحاب له على مذهبه، وهم يظهرون ذلك، وقاضيها فاضل من أهل قزوين، وكبير المسلمين بها محمد شاه بندر، وله أخ فاضل كريم اسمه تقي الدين، والمسجد الجامع بها عجيب، عمره التاجر خواجة مهذب، وهذه المدينة أوّل ما يوالي الصين من بلاد المليبار، وإليها يسافر أكثرهم، والمسلمون بها أعزة محترمون، وسلطانها كافر يعرف بالتيرَوَري، وهو معظّم المسلمين، وله أحكام شديدة في السراق والدعار.

وأقمت بكوكم مدة بزاوية الشيخ فخر الدين بن الشيخ شهاب الدين الكازروني شيخ قالقوط، فلم أتعرف للكلكم خبراً، وفي أثناء مقامي بها، دخل إليها أرسالٌ ملك الصين الذين كانوا معنا، وكانوا ركبوا في أحد تلك الجنوك فانكسر أيضاً، فكساهم تجار الصين وعادوا إلى بلادهم، ولقيتهم بها بعد، فعزمت على العودة إلى السلطان جمال الدين الهنوري، وأقيم عنده حتى أتعرف خبر الكلكم.

فعدت إلى (قالقوط).

وسافرت بالبحر من (قالقوط) وذلك آخر فصل السفر فيه، فكنا نسير نصف النهار الأول، ثم نرسوا إلى الغد، ولقينا في طريقنا أربعة

أجفان غزوية، فخفنا منها، ثم لم يعرضوا لنا بشر.

ووصلنا إلى مدينة هِنَّور، فنزلت إلى السلطان وسلمت عليه، فأنزلني بدار ولم يكن لي خديم، وطلب مني أن أصلي معه الصلوات، فكان أكثر جلوسي في مسجده، وكنت أختم القرآن كل يوم.

وكان السلطان جمال الدين قد جهز اثنين وخمسين مركباً وسفرتَهُ، برسم غزو سندابور، وكان وقع بين سلطانها وولده خلاف، فكتب ولده إلى السلطان جمال الدين أن يتوجه لفتح سندابور، ويُسلِم الولد المذكور ويزوجه السلطانُ أخته، فلما تجهزت المراكب ظهر لي أن أتوجه فيها إلى الجهاد، ففتحت المصحف أنظر فيه، فكان في أوَّل الصَّفحة: (يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره) فاستبشرت بذلك، وأتى السلطان إلى صلاة العصر، فقلت له: (إني أريد السفر) فقال: (فأنت إذاً تكون أميرهم) فأخبرته بما خرج لي في أول الصفح، فأعجبه ذلك وعزم على السفر بنفسه، ولم يكن ظهر له ذلك قبل.

فركب مركباً منها وأنا معه، وذلك في يوم السبت، فوصلنا عشي الاثنين إلى سندابور، ودخلنا خورها فوجدنا أ هلها مستعدين للحرب، وقد نصبوا المجانيق، فبتنا عليها تلك الليلة، فلما أصبح ضربت الطبول والأنفار والأبواق، وزحفت المراكب، ورموا عليها بالمجانيق، فلقد رأيت حجراً أصاب بعض الواقفين بمقربة من السلطان، ورمى أهل المراكب أنفسهم في الماء وبأيديهم الترسة

والسيوف، ونزل السلطان إلى العُكَيري وهو شبه الشلير، ورميت بنفسي في الماء في جملة لاناس، وكان عندنا طريدتان مفتوحتي المواخر فيها الخيل، وهي بحيث يركب الناس فرسه في جوفها ويتدرع ويخرج، ففعلوا ذلك، وأذن الله في فتحها، وأنزل النصر على المسلمين، فدخلنا بالسيف، ودخل معظم الكفار في قصر سلطانهم، فرمينا النار فيه، فخرجوا وقبضنا عليهم، ثم إن السلطان أمنهم ورد لهم نساءهم وأولادهم، وكانوا نحو عشرة آلاف، وأسكنهم بريض المدينة، وسكن السلطان القصر، وأعطى الديار بمقربة منه لأهل دولته، وأعطاني جارية منهن تسمى لمكي، فسميتها مباركة، وأراد زوجها قداءها فأبيت، وأقمت عنده بسندابور من يوم فتحها، وهو الثالث عشر لجمادى الأولى إلى منتصف شعبان، وطلبت منه الإذن في السفر، فأخذ علي العهد في العودة إليه.

وسافرت في البحر إلى هنّور، ثم إلى فاكنور، ثم إلى منجرور، فعدت إلى قالقوط، ووصل إليها غلامان كانا لي بالككم، فأخبراني أن الجارية التي كانت حاملاً وبسببها كان تغير خاطري توفيت، وأخذ صاحب الجاوة سائر الجواري، وأستولت الأيدي على المتاع، وتفرق أصحابي إلى الصين والجاوة وبنجالة.

فعدت لما تعرفت هذا إلى هنّور، ثم إلى سندابور، فوصلتها في آخر المحرم وأقمت بها إلى الثاني من شهر ربيع الآخر، وقدم سلطانهم الكافر الذي دخلنا عليه برسم أخذها، وهرب إليه الكفار كلهم،

وكانت عساكر السلطان متفرقة في القرى فانقطعوا عنا، وحصرنا الكفار، وضيقوا علينا، ولما اشتد الحال خرجت عنها، وتركتها محصورة.

وعدت إلى قالقوط، وعزمت على السفر إلى ذيبة المهل، وكنت أسمع بأخبارها.

انتهى كلام ابن بطوطة.

وقد كنت أود التعليق على كل ما جاء في كلامه خاصاً بالمليبار بمساعدة أحد إخواننا من علماء المسلمين في هذه الولاية، غير أنني وجدت أن معرفته بذلك لا تصل إلى المدى الذي أملته، فاقتصرت من ذلك على بيان بعض المدن والقرى الواردة في ابن بطوطة التي هي معروفة الآن، وذلك في القائمة التي تتبع هذا الكلام، مع العلم بأن هناك أماكن ذكرها خارجة الآن عن ولاية كيرالا، وداخلة في ولاية كرناتك التي ذكرت زيارتي لها في كتاب: (جنوب الهند).

كما أن طائفة من أسماء المدن والبلدان التي ذكرها لم يتعرف عليها الإخوان الذين سألتهم.

وكنت أود أن أجد كتاباً أو بحثاً مفصلاً في ذلك، فلم أعثر عليه ولذلك قنعت بما ذكر.

م	الصفحة	السطر	الأسم الوارد في كتابه	الاسم الجديد ونطقه في اللغة الملبالمية
١	٦٣٨	١	المليبار	المليبار (ملبار) MALABAR
٢	=	٢	كولام	كولام (كولم) KOLLAM
٣	=	٢	سندابور	سـدابور فـي ولايـة كرناتكـا SIDDAPUR
٤	٦٤٠	١٠	قاليقوط	كاليكوت (كاليكت) CALICUT
٥	=	١٢	أبي سرور	؟
٦	=	١٥	فاكنور	؟
٧	٦٤١	٦	منجرور	مانجلور (منجلور) (في ولاية كرناتكـا) MANGALORE
٨	=	٧	خور الذنب	
٩	=	١٨	هيلي	ايزى ملا EZHIMALA
١٠	٦٤٢	٩	جرفتن	؟
١١	=	١٨	بدفتن	ولبتم – UALAPATTANAM
١٢	=	١٩	دهفتن	درمدم DARMADAM
١٣	٦٤٣	٢١	=	
١٤	٦٤٤	٧	فندرينا	بندلايني PANDALAYINI
١٥	٦٤٥	١	قاليقوط	كاليكوت (كالكت) CALICUT
١٦	٦٤٨	٢١	كنجي كرك	
١٧	٦٤٩	٣	كولام	كولام (كولم) KOLLAM
١٨	٦٥٠	٢٢	هنور	هونور HONAWAR
١٩	٦٥٢	٨	شاليات	شناليم CHALIYAM يعرف اليـوم بميناء بيبور أيضاً BEYPUR

وبعد: فهذا ما اتسع له نطاق هذه المحاضرة عن الرحَّالة العظيم (ابن بطوطة) وهناك بحوث عديدة عناوينها كثيرة لم يتسع لها الوقت، وربما يوجد لها وقت آخر منها على سبيل المثال:

تديُّن ابن بطوطة.

تقدير العلماء في وقته وتعظيم السلاطين لمكانتهم.

دقة ملاحظة ابن بطوطة وقوة ذاكرته.

تكافل الأفراد والجماعات وبخاصة المسافرين الغرباء في العالم الإسلامي.

كثرة زوجاته.

محبته لاتخاذ الجواري.

إقامته في مكة المكرمة.

ابن بطوطة يثبت ما عرفناه من أن علماء المغرب أكثر الرحالين العلماء في العالم الإسلامي.

تعلقه أو عنايته بالقبور والمشاهد.

تصوُّفه.

إيمانه ببعض الخرافات.

شجاعته في اشتراكه في بعض المعارك الحربية.

قوة جسمه ومقاومته للأمراض والأوبئة.

أُموذج من خطه.

تصور العالم الإسلامي من خلال رحلته.

حديثه عن الأوقاف في الزوايا والأربطة.

ذكره لطريق الحج من مكة المكرمة إلى الكوفة، ومواضع الطريق فيه.

التنويه برحلة ابن بطوطة ومقارنتها بغيرها.

اللغات التي يحسنها ابن بطوطة.

وصفه الدقيق المفصل للمراسم في مواكب الملوك وجلوسهم.

حديثه المفصل المعتنى به عن الجواء الحارة والباردة.

صبره على الاغتراب.

عدم علمه بوفاة والديه إلا بعد دهر.

وصفه الدقيق مدينة القسطنطينية (استانبول) قبل أن يفتحها المسلمون.

صبره على البرد الشديد.

تقدير الملوك والأمراء له.

أنموذج من عمله في القضاء.

إحسانه إلى الفقراء وشفاعته لهم.

عطايا الكبار له من المال.

ذكره بالتفصيل للتمييز الديني والعنصري عند كفار الهنود.

وصفه لبلاد الصين تحت حكم المغول.

سقطاته القولية والفعلية:

نختم محاضرتنا عن ابن بطوطة بذكر بعض سقطاته وهي ثلاث و(كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه).

أولها: ذكره أن قبر الإمام البخاري موجود في بخارى وأنه زاره فيها، والصحيح أنه موجود في مدينة خرتنك وهي أقرب إلى سمرقند منها إلى بخارى.

وثانيها: وصفه لعود البخور وأنه رأى شجرته وذكر أن عروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة.

وقد رأيتها في مدينة جوهايي في آسام من بلاد الهند أكثر من مرة بل رأيت منها مئآت الشجر على غير ما ذكره ابن بطوطة، ولكن لم استغرب ذلك لأن والد الشيخ أبي الحسن الندوي وهو من الهند وصف شجر العود بوصف غير صحيح.

ثالثها: كلامه على شيخ الإسلام ابن تيمية وأنه رآه يخطب في دمشق، وأنه سمع ابن تيمية قال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر.

وهذا غير صحيح من أساسه لأنه لا يمكن أن يكون ابن بطوطة رأى ابن تيمية في سفره لأنه كان إبان وصوله إلى دمشق كان شيخ الإسلام ابن تيمية مسجوناً في قلعة دمشق ولم يخرج من السجن إلاّ ميتاً.

وذلك أن ابن تيمية اعتقل في قلعة دمشق لآخر مرة في اليوم السادس من شعبان سنة ٧٢٦هـ وابن بطوطة ذكر عن نفسه أنه وصل

دمشق في التاسع من رمضان سنة ٧٢٦هـ، فكيف يكون رآه يخطب، وبعد فترة لم يحددها سجن في القلعة؟

فإما أن يكون ذلك من سقطات ابن بطوطة أو يكون مدسوساً على كتابه، والله أعلم.

وأخيراً سألت صديقنا الشيخ الجليل عبدالصمت البقالي من علماء طنجة بلدة ابن بطوطة البارزين عما فعله أهل طنجة لابن بلدتهم العظيم (ابن بطوطة) فذكر أنه ما يلي:

- تسمية ثلاث مدارس باسمه: ابتدائية وإعدادية وثانوية ابن بطوطة.
- تسمية مسجد باسم ابن بطوطة.
- تسمية حيٍّ كامل باسم ابن بطوطة.
- تسمية ساحة كبيرة في حي مرشان باسم ابن بطوطة.
- تسمية شارع ابن بطوطة.
- تسمية باخرة لنقل السياح من فرنسا وإيطاليا باسم ابن بطوطة.
- مطار طنجة الدولي يطلق عليه اسم (مطار ابن بطوطة).
- سمي بعض الجهال قبراً مجهولاً لا يعرف الدفين فيه (قبر ابن بطوطة) مع أن المؤرخين لم يعرفوا أين توفي.

هذا والله أعلم وأحكم.

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي